

## مدينة الاغواط من خلال كتابات الرحلات الجغرافية

خلال القرن التاسع عشر ميلادي

أ / : مقدم رشيد

جامعة زيان عاشور الجلفة

[mekademrachid17@gmail.com](mailto:mekademrachid17@gmail.com)

تاريخ الإرسال: 2019/05/08، تاريخ القبول 2019/05/21

## الملخص:

إنّ المواقع، والأماكن بمثابة الأشخاص من حيث ملاحظتها الخاصة وسماتها المميزة وإجاءتها المعبرة، لأنّها الوسط الاجتماعي، البيئة الطبيعية لتفاعل الانسان مع مجاله، وتأثره بمحيطه، وتجاوبه مع شروطه الطبيعية ومعطياتها المناخية، وطرق عيشه الخاصة، وهذا ما يكسب الإسهام الفكري والإبداع التاريخي المتعلق بأيّ مكان، فهو بحق بعث للحياة، وتجديدا للذاكرة، وإحياء للتراث، لا سيما اذا كان ذلك يتعلق بإحدى المدن، أو المراكز السكنية التي لم تنل حظها من العناية، ولم تكن محل دراسات ترصد ملامح صورتها في الماضي، وتتبع مظاهر تطورها في الحاضر.

الكلمات المفتاحية: الاغواط، التيجانية، الرحلات، التراث، الصحراء، الذاكرة.

**Résumé:**

Les sites, les lieux et les lieux agissent en tant que personnes en raison de leurs particularités et de leurs réflexions inspirées, car ils constituent le milieu social, l'environnement naturel de l'interaction humaine avec son domaine, son impact sur son environnement, sa réponse aux conditions naturelles et aux données climatiques ainsi que son propre mode de vie, qui valorise la contribution intellectuelle et la créativité historique de tout lieu. Il s'agit véritablement d'une résurrection de la vie, d'un renouveau de la mémoire et du patrimoine, en particulier s'il s'agit d'une ville ou de centres résidentiels qui n'ont pas été pris en charge et n'a pas fait l'objet d'études qui en surveillent l'image et en retracent le développement dans le présent.

**Mots-clés:** Laghouat, Tigania, voyages, patrimoine, désert, mémoire.

## مقدمة:

تعتبر كتب الرحلات والجغرافيا من المصادر التاريخية التي تشكل إطارا مرجعيا مهما، ومادة أساسية يستقي منها الباحث الكثير من المعطيات التي يمكن أن يؤسس عليها اشكالياته وبناءه التاريخي لتاريخ مدن الجزائر على سبيل المثال لا الحصر، لاسيما في الفترة الحديثة والمعاصرة والتي ارتبطت بالبعثات الكشفية المزروجة من أوروبيين وجزائريين، بطلب من السلطات الفرنسية لمعرفة موارد الأرض الصحراوية وخصوصيات مجتمعاته، هذا في إطار المسح الإثنوغرافي الأنثروبولوجي، الطوبوغرافي والاقتصادي للصحراء خاصة وإفريقيا عامة.

إنّ المواقع، والأماكن بمثابة الأشخاص من حيث ملاحظتها الخاصة وسماتها المميزة وإيجاءاتها المعبرة، لأنها الوسط الاجتماعي، البيئة الطبيعية لتفاعل الانسان مع مجاله، وتأثره بمحيطه، وتجاوبه مع شروطه الطبيعية ومعطياتها المناخية، وطرق عيشه الخاصة، وهذا ما يكسب الإسهام الفكري والإبداع التاريخي المتعلق بأيّ مكان، فهو بحق بعث للحياة، وتجديدا للذاكرة، وإحياء للتراث، لا سيما اذا كان ذلك يتعلق بإحدى المدن، أو المراكز السكنية التي لم تنل حظها من العناية، ولم تكن محل دراسات ترصد ملامح صورتها في الماضي، وتتبع مظاهر تطورها في الحاضر.

ان الرحلات التي قام بها الرحالة الغربيون، تعتبر شهادات وانطباعات، تأثروا فيها بطابع الحياة، وطريقة العيش في مكان مميز من الوطن الجزائري، وهو الحال بالنسبة لمنطقة الاغواط التي ظلت، وستبقى بالنسبة لكل زائر أو مسافر باب ومنفذ للصحراء، ونافذة للهضاب، ومجال تفاعل البداوة في صفائها، وإيجاءاتها، والحضارة بعمقها، ودلالاتها.

إن هذه النصوص التاريخية التي يجد فيها القارئ تصور فرومنتين ونظرة وواقعية، لهي بمثابة صورة حية لعمق التقاليد الإسلامية، ورسوخ الأصالة العربية التي اصطبغت في منطقة الاغواط بانسراح الطبيعة، وصدق التعامل، وبساطة الحياة، لا تترك المتأمل، ولا تدع المتجول يمرّ عليها دون أن يتأثر بها، أو يتفاعل معها، لأنها تحمل شحنة من الاحساس تجعل ذلك المتأمل، أو الكاتب يعيش تفاعل البداوة القادمة من أعماق الجنوب حيث الصحراء بمعلمها السحرية مع زخم الحضارة الزاحفة عبر تخوم الشمال، حيث مظاهر الحياة الحديثة في نسختها الأوربية، هذا ما شعر به، وحاول التعبير عنه الرحالة الغربيون، من خلال نصوصهم الأدبية والتاريخية والجغرافية التي

نقلت لنا صورة عن منطقة الاغواط الساحرة بموقعها، الذي فرض عليها ان تكون منطقة وصل وانتقال بين الشمال الجزائر وجنوبها.

لقد فرض موقع منطقة الاغواط نفسه على الجغرافي، والمؤرخ، والاديب، وعالم الاجتماع، والاقتصادي، والرحالة، والباحث في الثقافة والتاريخ والتراث، فحق لها أن تكون مكانا مميزا، وموضوعا مفضل للدراسة، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الرئيسية للموضوع: ما هي القيمة التاريخية والمعرفية التي أضافتها رحلات القرن التاسع عشر لتاريخ منطقة الأغواط وما الجوانب التي عاجلتها؟.

### 1. أهمية الأغواط في الإستراتيجية الفرنسية للتوغل إلى الصحراء:

إن ماضي منطقة الاغواط هو حصيلة تفاعل الشروط والمميزات المناخية بالعوامل البشرية، والدوافع الاقتصادية والمتطلبات الاجتماعية عبر بعد زمني محدد، وحركة تاريخية مستمرة، إن هذا الموقع الذي توجد به منطقة الاغواط جمع بين الجبل والسهل والوادي، فرض ازدواجية في توزيع السكان واختيار مكان الاستقرار بين السكن في الجبل أو السهل حيث أنشئت مدينة الاغواط، هذا ما جعل منطقة الاغواط متكاملة وتاريخها عريق، فالأغواط تشكل موقع دفاعي، وقاعدة عسكرية ومركز استراتيجي ومحطة طريق ومركز تجاري وإداري، حيث اهتم الحكام الفرنسيون بمنطقة الاغواط لموقعها الجغرافي وإمكاناتها الاقتصادية، فعملوا على تأكيد طابعها التجاري وظيفتها الإدارية للتوغل في عمق الصحراء.

قد عرفت منطقة الأغواط مراحل من المقاومة الشعبية للأمير عبد القادر، والأمير خالد، والناصر بن شهرة، هذا الأخير لم يكتب عنه الكثير كونه قاد المقاومة في الأغواط التي كانت في نظر الفرنسيين بوابة لعبور الصحراء لإفريقيا، ترددت فرنسا كثيرا لغزو الأغواط فبعثت في بادئ الأمر بحامية في ماي 1844 بها 1700 مقاتل أكتشف أمرها من طرف أمير المقاومة في الصحراء ابن ناصر بن شهرة فأبداها عن آخرها، هذه الحادثة جعلت فرنسا تتفطن بخطر الصحراء، فحضرت لها حملة تأديبية سنة 1852، يقودها كل من الجنرال بريسي والجنرال ماريموش والجنرال جوسيف برسنتي، فسقطت المدينة في 4 ديسمبر 1852، بعد مقاومة كبيرة أبداها سكان المنطقة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> . Vreit Monique . le Sahara France. ed. faver.1999. pp19–22

منذ ذلك أضحى المنطقة محل اهتمامات الفرنسيين وتعتبر التجارة أهم أسباب التوغل الفرنسي بالصحراء الجزائرية وكان راندون<sup>1</sup> (Randon) من المهتمين بالمنطقة بدليل أنه في فترة حكمه استطاع الجيش الفرنسي التوغل في الصحراء، بعد دخولهم الأغواط تم إمدادهم بـ 8 فيالق عسكرية مزودة بالمدافع وهو سلاح يفتقده الثوار فتم احتلالها، وجعلوا منها نقطة ارتكاز باعتبارها بوابة الصحراء، عبر الأغواط تم احتلال المناطق الإستراتيجية من وادي ريغ ووادي سوف وورقلة حتى غرداية ، هذه الواحات الآهلة بالسكان في الجنوب الشرقي والوسطي من الجزائر هي المداخل الأولى للصحراء الكبرى<sup>(2)</sup>.

بهذا الصدد أوضحت أوديت بوتي أن الهدف الاستراتيجي من احتلال الاغواط؛ أنها تُشكّل موقعا مهما تنطلق من خلاله حملاتهم العسكرية إلى باقي مدن الصحراء وبالتالي فقد شكلت الأغواط على مدى خمسين سنة من احتلالها دورا مهما حيث توغل الفرنسيون إلى باقي المناطق الصحراوية<sup>3</sup>، لا وبل إلى إفريقيا جنوب الصحراء حيث ممتلكاتها في إفريقيا الغربية كما عبر بذلك دوفيرييه بقوله: " أنه باحتلال الأغواط والبيض تمكنهم من الوصول إلى ممتلكاتهم بالسنگال<sup>4</sup> ".

<sup>1</sup> المارشال راندون: عمل المارشال راندون في معسكر كقائد المقاطعات العسكرية سنة 1841م وكقائد ملازم عام سنة 1848م، ثم مدير أعمال بالوزارة الحربية للجزائر ، استمر في استخدام حماسته وخبرته في خدمة المستعمرة السودانية، بفعل مؤهلاته العالية تم لفت الانتباه له، حيث استدعته الخلية الحربية سنة 1851م وقفل راجعا إلى الجزائر كحاكم عام 11 ديسمبر 1851م إلى غاية إنشاء إدارة خاصة للمستعمرات بالجزائر في 24 جوان 1858م. تميزت حكومته بإرسال شحنات كبيرة من الجيوش إلى بابور وقبائل جرجرة وحتى الجنوب باحتلال الأغواط وتفرقت وخضوع بني ميزاب وسوف حتى الصحراء الكبرى. توفي في جنيف 16 يناير 1871م. ينظر:

NARCISSE Faucon, Le livre d'or de L'Algérie, T.1, librairie Algérienne et - coloniale, Paris, 1889, p 461-462.

<sup>(2)</sup> عميرواي أحمدية وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ( 1844-1916)، درا هومة، الجزائر، 2009، ص 46-45.

<sup>3</sup> . Odette petit, Laghouat essai d'histoire sociale, paris, collège de France, 1976, p 43

<sup>4</sup> . Henri Duveyrier , Les touareg du Nord : exploration du Sahara, Paris, imprimerie de j.clayr, 1864, p 70.

فقد كانت بالأغواط المراكز العسكرية والمكتب العربي، لهدف شن الحملات العسكرية وإرسال البعثات الاستكشافية انطلاقا منها ، فكان للمكتب العربي دور هام لا يقل أهمية عن الدور الأول، حيث كان منطلق العديد من البعثات الاستكشافية للصحراء الكبرى وجنوبها، من فرنسيين وجزائريين على حد سواء، حيث عمل الجزائريون كجواسيس وعيون لنقل أخبار المناطق التي زاروها للفرنسيين، ليسهل الأمر عليهم دخولها فيما بعد، فجاءت رحلاتهم إلى جانب الرحلات الفرنسية وفق رغبة وأهداف سلطات الاحتلال الفرنسي.

يعتبر الأغواطي<sup>1</sup> أحد الرحالة الجزائريين المستهدفين من قبل أمريكا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وخلال العهد الفرنسي وُظف العديد من الجزائريين في مهمة اختراق الصحراء أمثال الحاج البشير الذي قام برحلة إلى تافيلالت لمهادنة أولاد سيدي الشيخ الغرابية حتى لا يتحدوا مع أولاد سيدي الشيخ الشراقة<sup>2</sup>، وإسماعيل بوضرية الذي استغلت فيه فرنسا ميزة العربي الجزائري، فقام المارشال راندون بتكليفه عام 1858م بمهمة استكشافية من الأغواط إلى غات، لاكتشاف شمال أزجر والوصول إلى غات، لاختبار زعمائهم في موضوع تسهيل ربط علاقات تجارية بين غات والجزائر<sup>(3)</sup>.

والحاج عبد القادر أبو بكر التواتي الذي قام برحلة إلى السودان الغربي، حيث أستخدم لتفرت للقاء الفرنسي (Du Coudet) المعروف باسم حجي عبد الحميد باي، الذي طلب منه تدوين أجدية الطوارق وقائمة بأسماء قادة الأهالي للمناطق الصحراوية، كما كلفه الضابط بواسوني (Boissonet) بنفس الطلب،

<sup>1</sup> . الحاج ابن الدين الأغواطي : حسب سعد الله أنه من خلال معلوماته المدونة يبدو عليه قليل التعلم لأنه غالبا ما يشير إلى معلومات غير دقيقة، فالظاهر كان من المستمعين وكثير الاطلاع لأن خبرته بالمناطق التي وصفها تؤكد على مشاهداته لها، عندما جاء هودسون إلى الجزائر لمساعدة شيلر في مهمته كقنصل عام لبلاده في الجزائر، تعرف على الرحالة 1825-1829م، فقام هودسون بترجمتها ونشرها ، كما يشير أهل الأغواط أنه كتب عملا استحوذ عليه الفرنسيون وعلى الخصوص شيخ بلدية مدينة الجزائر. ينظر:

– الأغواطي ابن الدين ، رحلة الأغواطي (الحاج ابن الدين في شمالي إفريقيا و السودان والدرعية)، تح، أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 80-82.

<sup>2</sup> . F.FPhilippe, « Voyage d'El Hadj El Bachir au Tafilala en 1867 », R.A, Vol 55, 1911, p 260-265.

<sup>(3)</sup> . faucon , Op .cit , p 101- 102.

إضافة إلى معلومات أخرى تخص الجانب الاقتصادي للمناطق التي عبرها من بسكرة والأغواط إلى جني<sup>1</sup>، والشيخ محمد الطيب الذي قام برحلة إلى غدامس وغات وغيرهم من الرحالة.

دون أن ننسى الكم الهائل من الضباط والرحالة والمرتقة الفرنسيين الذين جابوا هذه الصحاري خدمة للإستعمار الفرنسي أمثال دوفيرييه، وفيرومتين، ودوماس وفلاترز وبول صوليه وغيرهم، هؤلاء كلهم قدموا خدمات جليلة لفرنسا وكانوا سببا في تعرّف فرنسا على خبايا الصحراء، لسبب واحد فقط هو تحقيق حلمها التجاري بالربط بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي عبر الصحراء الجزائرية، هذا الحلم الذي حققته مع بدايات القرن العشرين.

## 2. الجوانب التي عالجتها الرحلات:

### • الجانب الجغرافي:

لدراسة أي منطقة ومعرفة مؤهلاتها وإمكانيتها يعتمد الرحالة أو المستكشفون على تحديد مجالها الجغرافي، لأنه العامل الذي من خلاله يتم تحديد موقع وحدود وإمكانات أي منطقة، وهو العامل الذي يمكنهم من وصف أي منطقة، لذلك عمد الرحالة في وصفهم لمدينة الاغواط على تحديد موقعها الجغرافي.

حيث يفيدنا كل من الشيخ أطفيش<sup>2</sup> وبول صوليه في تعريفهما لاسم المدينة فيقول الشيخ أطفيش: " تسمى كذلك لأن أرضها بعضه منخفض وبعضها الآخر عال<sup>1</sup> "، كما جاء في تقرير بول صوليه أن منطقة

<sup>1</sup> . L'abbé Barges, **Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques**, Just rouvier libraire-éditeur, Paris, 1853, p 6-7.

<sup>2</sup> . **الحاج أطفيش**: هو أحمد بن يوسف بن عيسى اطفيس ولد القطب في مدينة غرداية لما تنقل إليها والده سنة 1820م، نشأ يتيما تحت كفالة والدته، التي كابدت العناء لتدريس ابنها وتنشئته تنشئة صالحة، فكانت كما قال عنها المؤرخ محمد علي دبويز السبب في اتجاه القطب إلى العلم، فحفظ القرآن الكريم كما تعلم مبادئ الفقه والنحو، وقد نشأ عظيما معتمدا على نفسه في طلب العلوم فلم يسافر وإنما كان يجمع الكتب ويقوم استنساخها لنفسه، فلم يكد يبلغ السن السادسة عشرة، حتى جلس للتدريس والتأليف ولما بلغ العشرين صار عالما لوادي ميزاب، توفي سنة 1914م. ينظر:

- يحي بن بون حاج أحمد، **رحلة القطب الشيخ احمد بن يوسف بن عيسى اطفيش**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص 31-34

الاعواط سميت بهذا الاسم لانبساطها، فهي تشكل سهل منخفض كبير، به واد كبير يفيض في كل مرة يسقط فيها المطر، والناس تسقي منه ومياهه صالحة للشرب<sup>2</sup>.

هذا وجاءت هذه الرحلات مُلَمَّةً بجغرافية المدينة حيث أتوا على ذكر تضاريس المنطقة، التي تمتد من الشرق إلى الغرب على ثلاثة تلال وتعد الجهة الجنوبية أكثر انحدارا من الجهة الشمالية<sup>3</sup>. كما أن قرية تاجموت هي الأخرى مبنية فوق هضبة صغيرة، وأهم الجبال والأنهار التي تجري في المدينة، هناك جبل عمور الواقع شمال تجموعت، به مائة عين جارية وينبع منه نهر الخير وهو مشهور يقدر طوله وعرضه بحوالي مسافة يومين لكل منهما<sup>4</sup>، كما أتى الأعواطي على ذكر وادي أمزي بقوله: « يُقسّم وادي أمزي الأعواطي إلى شطرين»<sup>(5)</sup>، غير أن بول صوليه يقول: " أن مدينة الأعواطي هي مدينة كبيرة تقع على ضفة وادي مزي"<sup>6</sup>، فهنا نلاحظ تناقض بين الرحلتين فالأول يقول أن الواد يقسم المدينة إلى قسمين والأخر يقول أنها تقع على ضفته، كما يمكن أن نشير أن هذا الواد هو نفسه نهر الخير الذي بدوره يحمل أيضا اسم وادي جدي لأنهم ينبعون من جبل عمور، ولهم نفس الخصوصيات من حيث المساحة والأهمية لحياة الأعواطي.

أما حدودها؛ فقد أشار بول صوليه أن مدينة الأعواطي تقع جنوب عاصمة الجزائر بمسافة 410 كلم، وهي مرتفعة عن البحر الأبيض المتوسط ب780م، شمال الأعواطي تقع قرية تاجموت على مسافة مسيرة يوم<sup>7</sup>،

<sup>1</sup> . نفسه، ص 57.

<sup>2</sup> . Paul Solleillet, Voyage de Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'in-Salah . rapport .présenté à la chambre de commerce d'alger typographie et lithographie. A 1875.pp.12-13.jourdan

<sup>3</sup> . Eugène Fromentin, Un Eté dans le sahara, librairie plon les petits-fils de plon 02et nourrit, paris,1856, p 1

<sup>4</sup> . الأعواطي ابن الدين ، المصدر السابق، ص 89

<sup>(5)</sup> . نفسه، ص 87.

<sup>6</sup> 02. Eugène Fromentin, Op .Cit, p 1

<sup>7</sup> . الأعواطي، المصدر السابق، ص 88.

كما أن المسافة بين بلدة الأغواط وعين ماضي<sup>1</sup> مسيرة يوم<sup>2</sup>، أما عين ماضي فتقع غربي تاجموت<sup>3</sup>، مع العلم أن كل من تجموعت وعين ماضي وجبل عمور هم ضمن مدينة الأغواط.

### • الجانب التاريخي والسياسي:

تقدم لنا هذه الرحلات معلومات تاريخية وسياسية مهمة حول مدينة الأغواط، تعود إلى الفترة القديمة حيث أشارت إحدى الرحلات أنه يوجد في شرقي الاغواط آثار بلدة قديمة وكان أمراؤها مسيحيون بها كثير من النقوش، أما في الفترة العثمانية، أشار الأغواطي إلى سكان الأغواط فقال بأن سكانها ينقسمون إلى فريقين فريق يسمى الأحلاف وفريق يسمى أولاد سرقين، وهم غالبا في حالة حرب وخصومة فيما بينهم وفي غالب الأحيان سبب هذه الخصومات تعود إلى رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة<sup>4</sup>، نفس الشيء بالنسبة لسكان قرية تاجموت<sup>5</sup>.

فهم منقسمون أيضا إلى فريقين، فهم يتحاربون فيما بينهم كما يفعل أهل الاغواط<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> . تقع عين ماضي على بعد 05 كلم من جبال عمور على صفيحة بيضاوية الشكل، مما جعل السكان يقولون أن عين ماضي بيضة النعامة شقت طولاً تبعد عن الاغواط بأكثر من 60 كلم، يحدها من الشمال الشرقي تاجموت ومن الشمال الغيشة و واد مزي مع الحدود الغربية للغيشة وتاجرونة، أما من الجنوب الغربي ولاية البيض، ومن الشرق الحويطة، تشتهر بأنها عاصمة التجانين عالميا بما مقر الزاوية التي تحمل اسمهم وبالقرب منها يوجد قصر كوردان الذي يعد رمزا للسياحة في الأغواط، وهي مهد الطريقة التجانية. ينظر:

– مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر 2005، ص 37

<sup>2</sup> . الأغواطي، المصدر السابق، ص 89.

<sup>3</sup> . المصدر نفسه، ص 88.

<sup>4</sup> . نفسه، ص 87.

<sup>5</sup> . تاجموت، تقع على بعد 48 كم في شمال غرب مدينة الأغواط، يحدها شمالا الحلفة، وجنوبا الحويطة، وغربا وادي مزي وعين ماضي وسيدي بوزيد والبيضاء، وشرقا سيدي مخلوف والأغواط. تعتبر تاجموت ثالث تجمع سكاني بعد الأغواط و آفلو، وكانت في القدم نقطة عبور، حيث تمر مختلف القوافل القادمة من الجنوب والمتجهة نحو الشمال. ينظر:

• سعيد بن زرقة، مدينة قصر البخاري، مدينة الشمس شهادات كتاب و رحالة عالميين، دار السلام للنشر والتوزيع،

الجزائر، ط1، 2000، ص 49

<sup>6</sup> . الاغواطي، المصدر السابق، ص 88.



غير أن السكان الذين يقطنون جبل عمور ليس لديهم حاكم<sup>1</sup>، فهم عكس بلدة عين ماضي التي لها حاكما يسمى ولد التحيني، وحوله حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود<sup>2</sup>، وعدد المسلحين بها ثلاثمائة رجل، أما عدد المسلحين في جبل عمور حوالي ستة آلاف شخص والأغواط ألف رجل<sup>3</sup>.

يبدو أن ولد التحيني له تأثير كبير على كل مناطق الأغواط، حيث يشير الأغواطي أنه في سنة 1243هـ / 1828م جمع أخ التحيني جيشا بهدف الزحف على وهران والاستلاء على خزنتها، وقد انظم جميع عرب الناحية المحيطة به إلى لوائه، فزحفوا بالطبول والمزامير وأعطيت لهم الخيول والخيام، بذلك سقطت مدينة معسكر في أيديهم ثم تقدموا نحو وهران، وهنا قام باشا وهران بتوزيع الدراهم على عرب الحملة بهدف هزيمة هذا الجيش، هذه الخطة نجحت فأخذ هؤلاء العرب يسحبون تأييدهم لولد التحيني الذي قتل فيما بعد اثر هجوم قام به الباي ضد جيشه<sup>4</sup>.

وقد خلفه أخوه في الحكم حيث يشير الأغواطي بقوله أن له حمام في وسط البلدة، ومن بين أملاكه سروج وتحف مطرزة بالذهب، كما أنه يملك مكتبة كبيرة. بهذا الصدد يشير سعد الله أن هناك غموض في التاريخ الذي ذكره الأغواطي، فعبارة منذ سنتين تدل على أن الحادثة وقعت سنة 1241 هـ بينما الحادثة قد وقعت في 1242 هـ ، ولعل هذا الغموض هو الذي جعل دافيزاك يقترح أن يكون تاريخ الرحلة هو 1249 وليس 1242 هـ<sup>5</sup>.

وفي الفترة الاستعمارية أشار فيرومنتين إلى أن الجيش الفرنسي استولى على ضريح الولي سيدي الحاج عيسى وحُوّل إلى نصب تذكاري للضباط الذين ماتوا هناك، كما حول مسجدها إلى كنيسة مسيحية.

<sup>1</sup> . نفسه، ص 89.

<sup>2</sup> . نفسه، ص 88.

<sup>3</sup> . نفسه، ص 89.

<sup>4</sup> . نفسه، ص ص 88-89.

<sup>5</sup> . نفسه، ص 88.

كما أصبحت تحت الحكم الفرنسي سنة 1844م حسب ما ذكره بول صوليه في رحلته ، حيث عين الجنرال "مايو منغو" حاكما للمنطقة، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الاغواط منطقة فرنسية، وتم تعيين الخليفة احمد بن سالم حاكما عربيا لها يساعده يحي بن سالم في تولي مسؤولية الأهالي<sup>1</sup>، حيث تنقسم المدينة إلى شطرين متساويين تقريبا حي الأحياء وحي أولاد سرفين توحدهما السلطة المركزية للخليفة بن سالم للمدينة باب كبير من خشب وله قفل خشبي كبير<sup>2</sup>.

### ● الجانب الاقتصادي:

تعتبر التجارة من الأمور التي اشتهرت بها مدن الصحراء خاصة منها توات، ورقلة، بني ميزاب، الوادي، بسكرة والأغواط، وذلك لأنها تمثل حلقات وصل بين مدن التل وإفريقيا جنوب الصحراء، فكانت هذه المدن بمثابة مراكز تفرغ وشحن للمنتجات التلية والصحراوية ومنتجات إفريقيا جنوب الصحراء، هذه التجارة التي أسالت لعاب الفرنسيين، فكانت من الأسباب الأساسية لاحتلال الجزائر وامتدادها السريع للصحراء، لذلك نجد معظم البعثات الكشفية ترصد أهم المراكز التجارية ومنتجاتها ووسائل التعامل التجاري وطرق قوافلها... الخ.

في الجانب الزراعي؛ يبدو من خلال ما ذكره الرحالين أن مدينة الأغواط منطقة زراعية بدليل المنتجات الزراعية التي تباع في أسواقها، حيث يفيدنا الأغواطي أن سكان جبال عمور أرضهم صالحة للزراعة<sup>3</sup>، كما أشار بول صوليه أن أراضي الأغواط تزرع فيها الخضر والقمح والشعير<sup>4</sup>، هذا وأتى لنا الأغواطي بما تنتج المدينة الفواكه من الكثرة كالتين، العنب، السفرجل، الرمان والإجاص<sup>(5)</sup>، إضافة إلى أشجار النخيل التي تعد أحد رموز الصحراء<sup>6</sup>.

1. Paul Soleillet , *l'Afrique-Occidentale, Algerie-Mzab- Tildikelt*, Avignon

.limprimene de fsegvin.aine.13rue rou bouqenie13.1977, PP13-14

2 . Eugène Fromentin, Op.Cit, p

3 . الاغواطي، المصدر السابق، ص 89

4 Voyage de Paul Solleillet, P . Paul soleillet ,

(5). الأغواطي، المصدر السابق، ص 87-88.

6. Paul soleillet . l'Afrique-Occidentale , pp 5.7

أما الجانب الصناعي؛ لكون المنطقة تتوفر على الملح في جبل عمور<sup>1</sup>، يقوم سكان المنطقة بصناعة البارود؛ حيث يجمعون التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهدامة، هذا التراب في الأصل يتكون من مادة مالحة يوضع في صحن ويصب عليه الماء، ثم يغلى ذلك الماء ثم يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت و أربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، هذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربعة ساعات فتصير بارودا<sup>2</sup>، ولكون اليهود وبني ميزاب يقطنون الأغواط فقد كان اليهود يقومون بصناعة الحلبي والفضة والمزايبون لديهم مفازات صغيرة للنسيج<sup>3</sup>، إضافة إلى ممارسة التجارة.

أما الجانب التجاري؛ أشار فيرومنتين إلى الأغواط أثناء رحلته فذكر لنا؛ بأنها تتوفر على شارع وحيد للباعة، حيث تفتح به دكاكين صغيرة لبيع الألبسة ولوازم الخياطة، والقماش ومحلات الخياطة يفتحها ميزايبون وورشات صغيرة يمارس فيها اليهود حرفة الحدادة وصناعة الحلبي الفضية وهناك سوقان للأحلاف وآخر لأولاد سرقين لبيع الأغنام، الماعز، الدجاج، مختلف المنتجات الفلاحية والحاجيات الضرورية للسكان، كما أن حمام ابن سالم يكتسي طابعا تجاريا هاما يقصده الناس للاستحمام خاصة في المناسبات<sup>4</sup>، هذا ويضيف الأغواطي في حديثه عن مدينة الأغواط؛ بأنها لا تتوفر على مكان مخصص للسوق ومع ذلك فإن التجارة رائجة بها عن طريق المحلات التجارية، أما العملة المستعملة في الأغواط فهي عملة الجزائر وفاس<sup>5</sup>.

وقد جاء في بعض الرحلات من خلال تقرير للغرفة التجارية للجزائر سنة 1874 بان الاغواط، كانت بها مستودعات للرباص والغذاء، فسكانها كانوا يمارسون تجارة المواد الغذائية وبعض المشروبات والتمر وتجارة البقالة واللحوم، فهي منطقة عبور للمغرب والسودان، حيث كانت التجارة تتم مع المغرب وورقلة ووهران وأنها منطقة مميزة رغم وجود الكتبان الرملية، بها طريق جيد لا يستغرق أسبوع للوصول إلى العاصمة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> . الأغواطي، المصدر السابق، ص 88

<sup>2</sup> . نفسه، ص 90-91.

<sup>3</sup> 136. Eugène Fromentin, Op. Cit, p

<sup>3</sup> Ibid, p, p 137

<sup>5</sup> . الأغواطي، المصدر السابق، ص 87-88.

<sup>6</sup> Voyage de Paul Solleillet, PP.33-34 . Paul soleillet ,

منذ الاحتلال بدت للعيان آثار بارزة في العلاقات التجارية بين التل والصحراء ، حيث سعت بعض القوافل خفية نحو أسواق أخرى للحصول على إمدادات مثل تونس، كما عزف سكان الصحراء على المهجرة السنوية إلى أسواق التل، منهم شعانة بوروية للحصول على الحبوب لسنوات عديدة ، نتيجة المقاومات العنيفة التي تلت عام 1830م، كما تعطلت الاتصالات بين بوسعادة والجزائر، بين فكيك والأغواط<sup>(1)</sup>.

ابتداء من ستينات القرن التاسع عشر حددت فرنسا كل من البيض (الأبيض سيدي الشيخ) والأغواط وبسكرة كمراكز انطلاق واستقبال للقوافل<sup>(2)</sup>، وما شجع نشاطها التجاري إنشاء عدد من الطرقات التي لم تكن موجودة قبل 1830م<sup>(3)</sup>، مثل تعبيد طرق السيارات من سطافة ، غرداية ، الأغواط عبر وادي ميزاب ، ثم الطريق من غرداية نحو ورقلة<sup>(4)</sup>.

#### • الجانب العمراني:

لقد تحدث جل الرحالة الذين تم توظيفهم في المقال بشكل مفصل عن الجانب العمراني للأغواط، فأتوا على ذكر أشكال البناء الذي يختلف من قرية إلى قرية، وطبيعة المادة المستخدمة في البناء وألوانها فأبدع فيرومنتين على وجه الخصوص في هذا المجال.

بالنسبة للوجه الخارجي لقرى وبلدات المدينة كلها محاطة بالأسوار لتحصينها، وهذا فيرومنتين يذكر أنه يحيط بالأغواط سور مثلث ذو شرفات بها ثقب تطلق منها القذائف وبرجان أحدهما في الشرق والآخر في الغرب<sup>5</sup>

<sup>(1)</sup> HOLSINGER, C. Donald, « Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century », Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°30, 1980 , p 62- 63.

<sup>(2)</sup> أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، ج1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، ج1، 2009، ص 72.

<sup>(3)</sup> RAMBAUD Alfred, la france coloniale (histoire - géographie - commerce), Imp. charaire et C<sup>ie</sup>, Paris, 1893 Op.cit., p

<sup>(4)</sup> الحاج سعيد بن بكير يوسف ، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية)، المطبعة العربية، غرداية، ط2، 2006، ص 151.

الغرب<sup>1</sup> ، ونفس الشيء أتى على ذكره بول صولييه حين قال أن مدينة الاغواط كبيرة محاطة بسور وحولها تحصينات، لها أربعة ابواب وهي جميلة الشكل<sup>2</sup>، بالنسبة لتجموت يحيط بها أيضا سور معزز بأبراج صغيرة بما فتحات صغيرة تطلق منها القذائف، أما عين ماضي فقد قال عنها الأغواطي بأنها بلدة محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس ولها بابان عظيمان<sup>3</sup>، تتميز أسوارها بالصلابة مزودة بشرفات وبها مدخلان باب صغير وآخر كبير<sup>4</sup>. وإذا جئنا للحديث عن دواخل هذه القرى، أول ما يمكن أن نشير إليه هو المادة التي بنيت بها مساكنهم ومساجدهم ومرافقهم العمومية، حيث أفادنا فيرومنتين أن مدينة الأغواط قد بنيت من الطين بدرجة كبيرة، غير أن بعض المنازل بنيت بالحجر والملاط<sup>5</sup>، مثلما هو الحال لبنت «Rocher» « la maison des » ، هذا المنزل بني فرق قاعدة صخرية يتميز بعلوه وصلابته لكونه مبني بالحجر والملاط<sup>6</sup>، أما بيوت تاجموت فهي مبنية بالحجر والطين<sup>7</sup>.

أما بيوتهم من الداخل فقد وصف لنا فيرومنتين بيوت مدينة الأغواط التي تتكون من غرفة أو غرفتين ورواق مظلم وباب صغير، وهذا لتجنب اختراق الشمس وفناء، أما الأبواب الخارجية مزينة بمختلف الألوان والأشكال، وهنا يشير فيرومنتين إلى «la maison des Rocher» ، هذا المنزل الذي يتميز بعلوه وصلابته ونصاعة لونه، غير أنه لا يتوفر على نوافذ خارجية<sup>8</sup>، كما يشير الرحالة إلى منزل التيجاني فيقول عنه أن منزله ابيض مزخرف بمهندسة مغربية، هذا المنزل المميز تراه مرتفع ومفتوح في الطابق الأعلى ونوافذه مقوسة<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> Eugène Fromentin, Op.cit, p 134 .

<sup>2</sup> Paul soleillet , L'Afrique-Occidentale, P13-14 .

<sup>3</sup> . الاغواطي، المصدر السابق، ص 88

<sup>4</sup> Eugène Fromentin, Op.Cit, p 137.

<sup>5</sup> Ibid.P 9.

<sup>6</sup> 112-111, Eugène Fromentin, Op. Cit PP ,

<sup>7</sup> . الاغواطي، المصدر السابق، ص 88

<sup>8</sup> 112-111, Eugène Fromentin, Op. cit, PP ,

<sup>9</sup> 139. Ibid , p

أما شوارعهم فهي مكونة من أزقة وممرات ضيقة لحساب الظل حتى لا تنفذ الشمس إلى الداخل ولها شارعان واحد في الشمال والآخر في الجنوب<sup>1</sup> ، أما شوارع تاجموت أضيق من شوارع الاغواط، غير أن عين ماضي ماضي لها شارع وحيد ولكنه عريض ونظيف<sup>2</sup>.

وقد وصف بول صوليه مباني مدينة الاغواط وقال بأنها جميلة من أسوارها وفنادقها ومكاتبها ودكاكينها ومستشفياتها<sup>3</sup>، أما المساجد فليس فيها منارات، لأنها مبنية في موقع جيد، وقال لا تقترب منها العقارب ولا الطاعون لأنها بهذه الناحية توجد جبال كثيرة وفي الجهة الشمالية منها جبل صغري ضخم<sup>4</sup>.

### ● الجانب الاجتماعي:

في إطار المسح الاثنوغرافي والانثروبولوجي للمجتمعات الصحراوية، اهتمت الرحلات بهذا الجانب اشد الاهتمام وهذا حتى يفهموا عقلية سكانها ومعتقداتهم وعاداتهم لاستدراجهم لتقبل الطرف الآخر، هذه النصيحة التي قدمها هنري بارث لفرنسا عندما كتب مقالا قبل وفاته بقليل ونشره في نشرة الجمعية الجغرافية بباريس؛ حيث فيه فرنسا على القيام بعمل جبار وواسع في الصحراء الإفريقية وطلب منها أن تستحوذ على هذه المناطق وتربطها بالجزائر، في نفس الوقت عليها أن تتفهم عقلية سكان تلك المناطق وتحترم معتقداتهم خاصة الدين الإسلامي ، لذلك يستحسن اختيار رواها لهذه المهمة، مع استعمال أساليب متعددة معهم، بحمل السيف والبنادقية بيد والكتاب والقلم بيد أخرى.

وهكذا جاءت الرحلات استجابة لهذا الغرض؛ فسكان المدن يقول عنهم الاغواطي أنهم فريقان فريق يسمى الاحلاف وفريق يسمى أولاد سرقين لهم شيخ البلدة<sup>5</sup> ، يرتدون الملابس الصوفية، كما تطرق إلى الحديث عن طبيعة مجتمعهم فقال أن النساء المحترمات لا يخرجن من بيوتهن أبدا وغيرهن يخرجن في الشوارع<sup>6</sup> ، أما نساء

<sup>1</sup> Voyage de Paul Solleillet, P 9 . Paul soleillet,

<sup>2</sup> Ibid , p 144

<sup>3</sup> Ibid , P 10

<sup>4</sup> Ibid.P 9

<sup>5</sup> . الاغواطي، المصدر السابق، ص 87.

<sup>6</sup> . نفسه، ص 87.

عين ماضي يظهرن في الشوارع<sup>1</sup>. كما يصف لباسهن فأحياناً يلبسن لباساً طويلاً وتارة قصيراً، أما نساء عين ماضي فلباسهن مستور لأنهن يلبسن لباساً واسعاً من صنع محلي ويرجع ذلك إلى تدينهن الشديد<sup>2</sup>.

كما أشار الرحالة فيرومنتين إلى النظام الاجتماعي القبلي المشكل من هرم قمته يمثلها شيخ القبيلة وأسرته، بعدها يليه الفرسان وفي الأخير يأتي الفقراء والخدم، وهم في غالب الأحيان من الزوج، ولأنهم يفضلون حياة الانتجاع يفصل لنا الرحالة في حديثه عن قوافل الانتجاع فيقول الفرسان يأتون في المقدمة يحملون رايات، ثم يأتي أربعة جمال يركبها شيخ القبيلة وأفراد أسرته، ثم يليهم قطع من الجمال بقيادة جمالين، وفي الخلف قطع من الغنم والماعز مقسم إلى مجموعة كل مجموعة تقودها امرأة أو زنجي مدعم بحراسة رجل يمتطي جواداً وكلاب<sup>3</sup>.

أما لباسهم فيقول فيرومنتين أنهم يلبسون اللباس البالي والممزق نتيجة الفاقة والفق<sup>4</sup>. يضيف لنا الرحالة هانريث مالتسان وصفاً آخر لسكان الأغواط فيقول: " أن سكان الاغواط يلبسون البرانس السمراء ... وفرسانهم صامتون يتعممون بعمامات... أجسادهم هزيلة مثل خيولهم التي يتغذون مثلها من القوت النادر، فهم مثل خيولهم ينامون ولست أدري أين، ويقومون مع هذه الحيوانات التي لا تكل أبداً بسباق يتجاوز حد المعقول"<sup>5</sup>.

أما عن سلوكهم الاجتماعي؛ فقد وصفهم فيرومنتين وصفاً قبيحاً وهذا الأمر مبالغ فيه، لا يتناسب وتعاليم الدين الإسلامي، فهو يريد من خلال وصفه هذا إظهار التفوق الأوروبي على العربي، فذكر أن سكان الأغواط مثلهم مثل كل العرب، كلهم يحبون النوم فتجدهم جالسين أو نائمون تحت الجدران مثل التماثيل المصنوعة من الطين، وعند اشتداد الحرارة تراهم يبحثون عن أماكن الظل في الشوارع، فينامون في سبات عميق، متكديسين فوق بعضهم البعض، كما تراهم دائماً شاحبي الوجوه وتبدو عليهم الشيخوخة مبكراً، حتى أنه وصفهم

<sup>1</sup> . نفسه، ص 89.

<sup>2</sup> . نفسه، ص 87.

<sup>3</sup> . Eugène Fromentin, Op. Cit, p 216-217.

<sup>4</sup> . Ibid , p 113 .

<sup>5</sup> . هانريث فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج3، تر، ابو العيد دودو، الجزائر، 1980، ص91.

بالجنس التافه الرديء<sup>1</sup>، كما أشار إلى بيوتهم فيقول أن فناء بيوتهم ملوثة، إذ يتناولون فيه طعامهم ويجمعون فيه أوانيهم، ويرمون فيه أوساخهم حتى تتكدس، وينتشر الذباب وبالتالي تنتشر رائحة كريهة في كل مكان<sup>2</sup>.  
ثم يتطرق للأدوار التي تتقاسمها العائلة في العمل، فيصف الرجل بالخمول والكسل والزوجة بأداء أدوار كثيرة، منها رعاية الأسرة والقيام بأشغال البيت ورعي الاغنام إلى جانب زوجها، والقيام بالنسيج والحياكة، فيصف العلاقة بين الرجل والمرأة بأنها تنحصر في توفيره لها الغذاء واللباس والمسكن فعلاقتهم أشبه بالعبد والسيد<sup>3</sup>.  
أما أطفالهم الذكور فيكلفون بجلب الماء والرعي إضافة إلى مهمة أخرى<sup>4</sup>، والفتيات يساعدن أمهاتهن في الحياكة والنسيج مقابل أجر زهيد يحصلن عليه<sup>5</sup>، هذا ويشير إلى عادات المنطقة في مسألة الزواج فيقول أن هؤلاء الفتيات يتزوجن في سن مبكرة حيث يتزوجن في سن الثانية عشرة سنة<sup>6</sup>.

#### • الجانب الديني:

تطرق الرحالين في حديثهم عن مدينة الأغواط إلى الجانب الديني، يبدو أن المنطقة تهتم كثيرا بهذا الجانب بدليل أن بها الزاوية التجانية في عين ماضي يفتد إليها الناس من كل حدب وصوب، حتى أن فيرومنتين وصفها بالمدينة المقدسة، فيذكر أنها منطقة مسالمة خالية من مظاهر الحرب، كما أن قدسيتها تستمدتها من الولي التيجاني الذي يحظى باحترام جميع السكان ولهم إتباع من الكثرة. حيث يفدون إليها الناس من خارج الجزائر مثل البلدان الافريقية، كما أن المدينة تطبعها الممارسات الدينية من قبل كل الفئات مما جعلها مزارا بعد وفاته<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> . الاغواطى، المصدر السابق، ص 87.

<sup>2</sup> 149-147. Eugène Fromentin, Op.Cit, p

<sup>3</sup> . Ibid , p 114

<sup>4</sup> الاغواطى، المصدر السابق، ص 87.

<sup>5</sup> . Eugène Fromentin, Op.Cit, p 1 54.

<sup>6</sup> . Ibid , p 1 42

<sup>7</sup> . Ibid , p 118



باعتبار سكانها متدينون ويتوقون لمعرفة أحكام الدين الإسلامي، يصف لنا القطب اطفيش الحفاوة التي استقبل بها، وكيف التقت حوله الجموع لتلقي عليه السلام، والأسئلة والمناقشات التي جرت بينهم في آيات شعرية تستوفي كل المعاني والتعبير الصادق صدق الرحالة وأهل الأغواط<sup>1</sup>:

وفيها أتاني أهلها يسألونني \*\*\* عن القصر امن الكتاب له أمطرًا

فقلت لهم من قول طه، وفعله \*\*\* وقولكم من النساء بن ازدرى

فما في النساء ركعة لمخافة \*\*\* لذي حضر او سفر نسك وكالشرا

ومن قال منها فالوقوف على الصلا \*\*\* ة والبدء عنده بأن خفتم انبرى

أو الخوف كان من مراعاة غالب \*\*\* زمان نزولها على سيد الورى<sup>2</sup>

هذا وأشار الرحالين إلى فريضة من فرائض الاسلام وهي فريضة الصوم، فأعطوا لنا صورة شاملة عن الصيام في المناطق الحارة وحالة الصائمين هناك، حيث أشارت إحدى الرحلات إلى فريضة الصوم بالقول: "خلال الثلاثين يوما التي يدومها هذا الشهر لا يجوز لاتباع محمد أن يأكلوا أو يشربوا طوال اليوم، أي من شروق الشمس الى غروبها، غير انه كان هناك بعض الناس لا يلتزمون بهذه الشعيرة حيث كنا نلاحظ أحيانا لمعان سيجارة حتى قبل أن تغرب الشمس<sup>3</sup>".

عدا ذلك، فإنه لا يوجد أي عربي يخرق قانون الصوم الصارم، المتمثل في الإقلاع المطلق عن كل المفطرات، فالرجال والنساء والفتيات، ابتداء من سن الخامسة عشرة، والفتيان البالغين ما بين 11-15 سنة يمضون اليوم كله دون أكل أو شرب رغم قساوة الطبيعة وشدة الحرارة<sup>4</sup>.

كما يصف فيرومنتين حالة الصائمين فيقول أن الصوم في فترة الحر قد انتزع من السكان كل الجهد، وأخذ في وصف شوارع المدينة في النهار بالفارغة والدكاكين المغلقة، كما وصف حالة هؤلاء السكان بشاحبي

<sup>1</sup> . يحيى بن بھون حاج أحمد ، المرجع السابق، ص 57.

<sup>2</sup> . نفسه، ص 71.

<sup>3</sup> . سعيد بن زرقه، مدينة قصر البخاري، مدينة الشمس شهادات كتاب و رحلة عالميين، دار السلام للنشر والتوزيع، الجزائر،

ط1، 2000، ص 49.

<sup>4</sup> . نفسه، ص 49.

الوجوه حيث ينامون طوال اليوم إلى غاية وقت الإفطار، فيأكلون ويشربون ويسمرون إلى فترات متأخرة من الليل وهكذا حتى نهاية شهر رمضان<sup>1</sup>.

في زاوية عين ماضي التجانية، يصف لنا بول صوليه كيف يستقبلون شهر رمضان بالحفل الديني، فالمبنى بسيط جدا، وجدرانه مطلية بالجير وأرضه مفروشة ببساط خشن، حمراء، انه المسجد الذي تؤدي فيه الصلاة، الرجال يصطفون في صفوف مستقيمة، ومتباعدة تبدا أكثر استقامة من صفوف الجنود أثناء التدريب، وجوههم بيض أو حمر وسممر، لكنهم يلبسون ملابس تغطي كل الجسم، أما عائلات الأولياء، فيصعدون على منصة ينشدون المدائح، و ذلك لفترة طويلة من الليل.

#### الخاتمة:

إن القارئ للمتون التاريخية، يستشف أن مدينة الاغواط مدينة طاهرة طهر سكانها وشامخة شموخ صقورها، فقد فتن الكتاب والرحالة الغربيون جمال هذه المنطقة العريقة، فقد قال عنها الرحالة فرينو بأنها أرض افريقية مليئة بالعبور والأسرار، خلقها الله للمتصوفين والمتأملين والفلاسفة، وقد اعترف فرومنتين بأنها المدينة المعلقة أعطته درسا جميلا في الكرم والضيافة والحضارة.

إن كتابات هؤلاء الرحالين يكشفون لنا مدى اهتمام فرنسا بالمنطقة خاصة والصحراء عامة، حيث جاءت رحلاتهم مئمة بجل الجوانب المطلوب دراستها، فلم يتركوا شيئا إلا وأتوا على ذكره، خاصة الجانب الثقافي والديني والاقتصادي للمنطقة فقد تعمقوا فيهم، وهذا لحسابات دقيقة وسياسة محكمة للتحكم في المنطقة والانطلاق منها لتنفيذ مشاريعهم الاقتصادية عبر الصحراء الجزائرية.

إن هذه الرحلات كنصوص تاريخية مهمة جدا للتعرف على المناطق التي زاروها، حيث يستأنس بها الباحث في كتاباته حول مدن الجزائر، غير أنها ككل الكتابات الغربية تحتاج إلى مقارنتها بالنصوص العربية والمحلية وهذا ما لاحظناه فيما كتبه كل من فيرونتين والأغواطي، وما يمكن أن نقوله أن هذه المحاولة المتواضعة منا هي تأسيس لمشروع متواضع نحاول فيه إعادة بناء ذاكرة المنطقة والمدينة عرفانا منا بأن المدن الكبيرة لا تموت.

192. Eugène Fromentin, Op.Cit, p<sup>1</sup>

قائمة المصادر والمراجع:● باللغة العربية:

- الأغواطي ابن الدين ، رحلة الأغواطي (الحاج ابن الدين في شمالي إفريقيا و السودان والدرعية)، تح، أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر 2005، ص37
- بن زرقة سعيد ، مدينة قصر البخاري، مدينة الشمس شهادات كتاب و رحالة عالميين، دار السلام للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2000.
- حاج أحمد يحي بن بهون ، رحلة القطب الشيخ احمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.
- الحاج سعيد بن بكير يوسف ، تاريخ بني ميزاب ( دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية)، المطبعة العربية، غرداية، ط2، 2006.
- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2009.
- عميرايي أمحيدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ( 1844-1916)، دار هومة، الجزائر.
- مالتسان هانريث فون ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ج3، تر، ابو العيد دودو، الجزائر، 1980.

● باللغة الفرنسية:

- Monique .Vreit .le Sahara France. ed. faver.1999.pp19-22 -
- NARCISSE Faucon, Le livre d'or de L'Algérie, T.1, librairie -
- .Algérienne et coloniale, Paris, 1889

- Duveyrier Henri, Les touareg du Nord : exploration du Sahara, Paris, imprimerie de j.clayr, 1864. –
- F.FPhilippe, « Voyage d'El Hadj El Bachir au Tafilala en 1867 », R.A, Vol 55, 1911. –
- Fromentin Eugène, Un Eté dans le sahara, librairie plon les petits-fils de plon et nourrit, paris,1856. –
- HOLSINGER. C. Donald, « Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century », Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°30, 1980. –
- L'abbé Barges, Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques, Just rouvier libraire-éditeur, Paris.Odette petit, .Laghout essai d'histoire sociale, paris, collège de France –
- RAMBAUD Alfred, la france coloniale (histoire – géographie – commerce), Imp. charaire et C<sup>ie</sup>, Paris, 1893. –
- Solleillet Paul , l'Afrique-Occidentale,Algerie-Mزاب-Tildikelt, Avignon .limprimene de fsegvin.aine.13rue rou .bouqenie13.1977 –
- Voyage de Paul Solleillet d'Alger à l'oasis d'in-Salah .rapport .présenté à la chambre de commerce d'alger 1875..typographie et lithographie. A jourdan –